التعصب لدى الأطفال أسسه المعرفية الدافعية

(دراسة نظرية)

Prejudice among Children:
Its Cognitive and Motivational Origins

المدرس الدكتور
فارس كمال عمر نظمي
جامعة بغداد- كلية الآداب

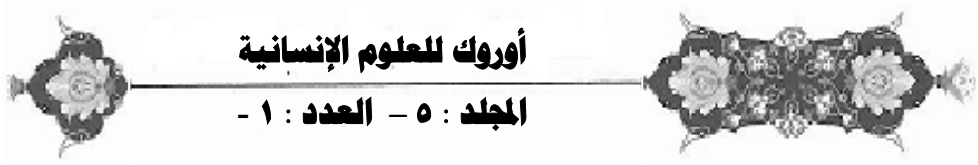

التعصب لدى الأطفال أسسه المعرفية الدافعية (دراسة نظرية)

Prejudice among Children:Its Cognitive and Motivational Origins

المدرس الدكتور
فارس كمال عمر نظمي
جامعة بغداد- كلية الآداب

مستخلص الدراسة

يشهد العراق اليوم استقطاباً دينياً وطائفياً وعرقياً ملحوظاً، ما يستدعي من الباحثين في العلوم الاجتماعية جهوداً للإحاطة النظرية والميدانية بهذه المعطيات ذات الطابع التعصبي. ويقف مجتمع الطفولة في مقدمة الفئات المجتمعية التي تستدعي تمحيص ديناميات التعصب ومدياته فيها. إن مؤشرات يومية مهمة عن تنامي التعصب سلوكاً ولفظاً بين الأطفال العراقيين، باتت أمراً لا يمكن إنكاره. ولذلك تسعى الدراسة النظرية الحالية إلى توفير منطلقات تنظيرية ابتدائية، يمكن أن يستند إليها الباحثون لاحقاً لتصميم دراسات ميدانية تتناول لمشكلة نشوء التعصب أو خفضه لدى الأطفال في العراق.

تستهدف الدراسة استقراء بعض الأدبيات المتيسرة في ميدان التعصب لدى الأطفال، للإجابة عن عدد من الاسئلة الجوهرية، من بينها الاستفسار عن الأسس البيولوجية والاجتماعية للتعصب، وعن الأطر النظرية المعاصرة لتفسير نشوئه لدى الأطفال، وعن أسسه المعرفية والخلقية والدافعية، وعن المتغيرات الموقفية التي تساعد الأطفال على إدراك الاتجاهات التعصبية حولهم، وعن الفروق الفردية التي يحتمل أن تعمل على تسهيل هذا الادراك، وأخيراً الاستفسار عن وسائل خفض التعصب والحد منه لدى الأطفال.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الإجابات والاستنتاجات، من بينها ما يأتي:

- على الرغم من أن التعصب جزء بنائي أساسي من ميكانزماتنا البيولوجية للبقاء على قيد الحياة، إلا أن فمعظم علماء النفس متفقون على أن خصائص التعصب يجري تعلمها.
- يرى منظور التعلم الاجتماعي أن انتقال الإتجاهات التعصبية إلى الأطفال يحدث خلال عملية التنشئة الاجتماعية، بواسطة آلية "النمذجة"، أي تقليد سلوك الآخرين (النماذج) حتى في حالة عدم وجود تعزيز مباشر. أما المنظور الدافعي-المعرفي فيرى أن الأطفال الصغار معرّضون الى التعصب لأنهم لا يستطيعون معالجة تصنيفات عقلية متعددة بسبب عدم نضجهم المعرفي. وفي الوقت ذاته يمتلك الأطفال حاجات اجتماعية تدفعهم إلى بناء اعتبار إيجابي للذات وللجماعة التي ينتمون اليها, أي بناء هويتهم، وقد تحقق الإتجاهات التعصبية هذا الغرض لهم.
- إن الاتجاهات التعصبية لدى الطفل يمكن تلافيها عبر التسريع بنموه المعرفي والخلقي.
- إن مدى إدراك الأطفال للاتجاهات التعصبية حولهم، يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية، هي: قدراتهم المعرفية، والعوامل الموقفية، والفروق الفردية.
- يوجد توجهان رئيسان حول كيفية الحد من التعصب والتخفيف من آثاره: توجه يؤكد على دور التنشئة الاجتماعية، عبر ثني الوالدين والمعلمين عن التصريحات التي تروج للتعصب ولسلوك التفرقة والتمييز، والاستعانة ببرامج تعديل الاتجاهات في المدارس لخفض التعصب؛ وتوجه يؤكد على ضرورة اصطناع مواقف الإتصال الاجتماعي بين الجماعات المتنابذة.

كما اقترحت الدراسة الاستفادة من المادة النظرية المدروسة لإجراء دراسات تجريبية ووصفية محددة عن التعصب لدى الطفل العراقي.

الفصل الأول

مرتكزات الدراسة ومبرراتها

أهمية الدراسة

تُختزل هذه الأهمية في عاملين:

١-عامل اجتماعي: تشهد البيئة الاجتماعية العراقية اليوم استقطاباً دينياً وطائفياً وعرقياً ملحوظاً، ما يستدعي من الباحثين في العلوم الاجتماعية جهوداً للإحاطة النظرية والميدانية بهذه المعطيات ذات الطابع التعصبي، وتشخيص عناصرها البنائية والوظيفية، لتحديد مدى اقترابها من كونها ظاهرة سلبية فاعلة تستدعي العلاج، أم إنها مجرد حالات مؤقتة أفرزتها التحولات والصراعات السياسية الحالية التي تمر بها البلاد. ويقف مجتمع الطفولة في مقدمة الفئات المجتمعية التي تستدعي تمحيص ديناميات التعصب ومدياته فيها، إذ إن النمط النهائي للشخصية الاجتماعية السائدة في أي مجتمع، إنما يستمد جزءً أساسياً من مقوماته التكوينية من النمط السائد لشخصية الطفل في ذلك المجتمع. إن مؤشرات يومية مهمة عن تنامي التعصب سلوكاً ولفظاً بين الأطفال العراقيين، على أسس دينية أو طائفية أو عِرقية، باتت أمراً لا يمكن إنكاره، سيما في المدارس. ولذلك تجيء الدراسة النظرية الحالية بوصفها خطوة أولية استكشافية في هذا الاتجاه البحثي، إذ تسعى إلى توفير قاعدة مفاهيمية، ومنطلقات تنظيرية ابتدائية، يمكن أن يستند إليها الباحثون لاحقاً لتصميم دراسات ميدانية تتناول أجزاء من الشبكة الارتباطية أو

التجريبية التي تحكم العلاقة بين المتغيرات النفسية المؤثرة في نشوء التعصب أو خفضه لدى الأطفال في العراق.

٢- عامل نظري: يعد "التعصب" Prejudice واحداً من أهم أركان مبحث "العلاقات الاجتماعية" Social Relations. كما يُعدّ التنظير في هذا الموضوع واحداً من أكثر المساحات البحثية خصوبةً واتساعاً في علم النفس عامة، فضلاً عن أن هذا التنظير يتخذ في مجال التعصب لدى الأطفال منحى نفسياً مزدوجاً، إذ يتناول هذه الظاهرة بوصفها نقطة تماس بين علمي النفس الاجتماعي والنمائي، ما يقتضي تعمقاً نظرياً من نوع خاص، يمتزج فيه العامل الاجتماعي المستعرض بالعامل النمائي الطولي. فالمنظور الاجتماعوي يتناول التعصب بوصفه نتاجاً للتنشئة الاجتماعية المتحيزة أو المتسلطة، وهو بهذا المعنى اتجاه تقويمي سلبي يتبناه الفرد نحو الفئات الاجتماعية المنافسة لجماعته، جرى اكتسابه منذ الطفولة عبر سلسلة طويلة ومعقدة من عمليات الاقتران والتعزيز والنمذجة والإقناع والإسقاط والإزاحة. أما المنظور النمائي فلا يتناقض مع هذه الرؤية، إلا إنه يضيف إليها أبعاداً معرفية Cognitive ودافعية Motivational وحتى بيولوجية، تتعلق بالأبنية الإدراكية المحدودة للطفل، وحاجته لحيازة هوية إيجابية عن ذاته وجماعته، الأمر الذي يقوده إلى التمسك بخيارات تقويمية ضيقة حيال الآخرين في المراحل المبكرة التي تسبق تطوره العصبي والعقلي الكامل. والدراسة الحالية هي محاولة لتسليط حزمة ضوء على نقاط الالتقاء والاختلاف بين هذين المنظورين دون اتخاذ موقف تنظيري منحاز لأحدهما.

أهداف الدراسة

أولاً- استقراء بعض الأدبيات المتيسرة في ميدان التعصب لدى الأطفال، للإجابة عن الاسئلة الجوهرية الآتية:

١- هل للتعصب أساس بيولوجي؟ أم إنه ظاهرة اجتماعية صرفة؟

٢- ما أهم الأطر النظرية النفسية الكلاسيكية التي فسرت التعصب؟

٣- كيف يكتسب الأطفال اتجاهاتهم التعصبية في ضوء علم النفس المعاصر؟

٤- الى أي حد يكتسب الأطفال التعصب أو التسامح من والديهم ومعلميهم؟ وهل يبقى التعصب اتجاهاً ثابتاً بالضرورة في شخصية الطفل المتعصب، أم إنه قابل للتغير بمرور العمر؟

٥- ما الاسس النمائية (المعرفية والخلقية) للاتجاهات التعصبية لدى الأطفال؟

٦- ما العوامل المعرفية، والمتغيرات الموقفية، التي يُتوقع أن تساعد الأطفال على إدراك الاتجاهات التعصبية حولهم؟ وما الفروق الفردية التي يحتمل أن تعمل على تسهيل هذا الادراك؟

٧- كيف يمكن خفض التعصب والحد منه لدى الأطفال؟

ثانياً- تقديم استنتاجات نهائية مستقاة من إجابات الأسئلة السابقة.

حدود الدراسة

تحددت الدراسة الحالية بما تمت مراجعته من أدبيات نفسية عربية وأجنبية متخصصة بالمفاهيم المبحوثة، تراوحت تواريخ إصدارها بين العامين (١٩٧٠- ٢٠١١)م

تحديد مفهوم التعصب Prejudice

- لغوياً: التعصب يعني التحيّز والتحامل، من العصبة بمعنى أهل الرجل وعشيرته. وهذه المفردة هي ترجمة لمصطلح Prejudice بالانكليزية وPrejuge بالفرنسية، واللذين يعنيان "الحكم المسبق" الذي لا يستند الى واقع موضوعي أو منطق سليم (الحفني، ١٩٩٥، ص ٣٤٥).
- نفسياً: لا يوجد اتفاق حول الأصل المفاهيمي للتعصب، حسبما يتضح أدناه من تعريفات له:

- Sherif & Sherif 1956: موقف معاد ضد الجماعات الخارجية، سيما عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين هذه الجماعات وبين الجماعة التي ينتمي اليها الفرد (زهران، ١٩٨٤، ص ١٧٥)
- Allport 1958: التفكير السيء عن الآخرين دون وجود دلائل كافية (عبد الله، ١٩٨٩، ص٤٩).
- Zanden 1966: نسق من الإدراكات والمشاعر والتوجهات السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة (عبد الله، ١٩٨٩، ص٤٩).
- ويتيج ١٩٧٧: استجابة متعلمة، تتسم بالافراط في التعميم، وليس لها مايبررها من الاسانيد (ويتيج، ١٩٧٧، ص٣٢٩).
- Stang & Wrightsman 1981: صورة نمطية Stereotype سلبية أو ازدرائية، غالباً ما تقاوم بشدة التغيراتِ (Stang & Wrightsman, 1981, p. 70).
- Myers 1996: اتجاه سلبي غير مبرر نحو جماعة معينة ونحو أفرادها (Myers, 1996, p. 607).

- Aronson 2004 وآخران: اتجاه عدائي أو سلبي نحو جماعة من الناس لها مايميزها، فقط بسبب عضويتهم في تلك الجماعة (Aronson et al., 2004, p.460).

ويلاحظ ان تعريف "التعصب" بوصفه اتجاهاً Attitude هو الخيار السائد في أغلب دراسات علم النفس الاجتماعي.

مكونات التعصب

يمكن للتعصب أن يكون إيجابياً (أي لصالح جماعة معينة)، أو سلبياً (أي ضد جماعة معينة). أما مكوناته، فبوصفه اتجاهاً يتألف من ثلاثة مركبات: انفعالية وسلوكية ومعرفية، وعلى النحو الآتي:

١- التعصب :المكون الانفعالي Prejudice: Affective Component

يطلق مصطلح التعصب للإشارة الى بنية اتجاهية، والى مكونها الانفعالي (الوجداني) في الوقت ذاته. ويقصد بالمكون الانفعالي هنا كافة الانفعالات الايجابية والسلبية التي ترتبط بالتعصب، كالغضب والعدائية وعدم التساهل، والود والارتياح والحماسة.

٢- الصور النمطية : المكون المعرفي Stereotypes: Cognitive Component

الصورة النمطية هي تعميم يُطلَق نحو جماعة من الناس، لإسباغ خصائص متماثلة على جميع أفرادها، بصرف النظر عن التباينات الحقيقية بينهم.

٣- التمييز : المكون السلوكي Discrimination: Behavioral Component

التمييز سلوك سلبي أو مؤذي غير مبرر نحو عضو في جماعة، فقط بسبب عضويته فيه. (Aronson et al ., 2004, pp.460-461, 465)

الفصل الثاني
مفاهيم وتنظيرات ودراسات سابقة

أولاً- ستجري الإجابة تباعاً في هذا الفصل عن الأسئلة المطروحة ضمن فقرة أهداف الدراسة في الفصل السابق:

س١- هل للتعصب أساس بيولوجي؟ أم إنه ظاهرة اجتماعية صرفة؟

يشير علماء نفس التطور الى أن الحيوانات لديها ميل قوي للشعور الإيجابي نحو أفراد فصيلتها المشابهين لها وراثياً، فيما تعبر عن الخوف والاشمئزاز نحو الكائنات غير المشابهة لها وراثياً حتى وإن لم تسبب لها الاذى (Aronson et al., 2004, p.466). وبالمنظور نفسه، فالطفل ليس كائناً عضوياً فارغاً ينتظر الامتلاء، ذلك إنه يولد محمّلاً بتحيزات معينة تجعله يرد على مثيرات محددة بأنماط محددة من الاستجابات. وتتضح أبسط هذه الاستجابات في قوانين الإدراك التي جاء بها علماء الجشطالت، والتي تعد تعبيراً عن مباديء بيولوجية أساسية، ومن بينها قوانين الادراك البصري في "الاغلاق" Closure والتجميع Grouping والاوهام الحسية Illusions، إذ إننا لا نتعلم الرؤية بهذه الطرائق، ولكن أبصارنا محددة بالطبيعة الفطرية لجهازنا العصبي (Nash, 1970, p. 81).

وعلى هذا الأساس، فإن الكثير من تعلماتنا الاجتماعية تكون متأثرة بعوامل من هذا النوع، ومن بينها "التعصب" الذي قد يكون قائماً على رد فعل أساسي هو كره الغرباء. ولذلك فإن تعلم التعصب يعد أسهلَ من تعلم عدم التعصب (Nash, 1970, p.82).

فالتعصب حسب هذه الرؤية، قد يكون جزءً بنائياً أساسياً من ميكانزماتنا البيولوجية للبقاء على قيد الحياة، بتحفيزه لنا لتفضيل عائلتنا وعشيرتنا وعِرقنا، وللتعبير بعدائية نحو الخارجيين. إلا أن البشر يختلفون عن الحيوانات الدنيا، ولعل ميلهم الطبيعي هو الود والانفتاح والتعاون. فإذا كان الأمر كذلك، فلن يغدو التعصب أمراً طبيعياً، لكن الحضارة (الوالدان والمجتمع ووسائل الاعلام) تلقننا عمداً أو عن غير عمد كيف نضفي خصائص سلبية على الناس المختلفين عنا. إن القاعدة الاساسية تقول أن البشر بالرغم من امتلاكهم لميول بيولوجية وراثية تهيئهم للسلوك التعصبي، فإن لا أحد يستطيع الجزم بأن التعصب هو جزء حيوي وضروري لتكوينهم البيولوجي. فمعظم علماء النفس متفقون على أن خصائص التعصب يجري تعلمها (Aronson et al., 2004, p. 466).

س٢- ما أهم الأطر النظرية النفسية الكلاسيكية التي فسرت التعصب؟

فيما يأتي إيجاز بأربعة منظورات كبرى فسرت التعصب:

١- منظور التحليل النفسي

يستند هذا المنظور على المبدأ الفرويدي في "الإسقاط" Projection ، اذ يعد التعصب آلية يستطيع الشخص المتعصب من خلالها أن يدافع عن نفسه ضد القلق الذي يشكل جزءً من صراعه الداخلي. ففي الإسقاط ينسب الشخص للآخرين الأشياء ذاتها التي هو قلق بشأنها في نفسه. فمثلاً الشخص الأبيض الذي يعتقد أن الزنوج قذرون وفاسقون، ربما يحمي نفسه من إدراكه أن مظاهر معينة في سلوكه تشير

إلى أنه قذر وفاسق. واستناداً الى هذا التفسير، يغدو التعصب آلية دفاعية لاشعورية لخفض القلق (Bourne& Ekstrand, 1976, p.360) .

ويفسر التعصب أيضاً في ضوء آلية "الإزاحة" أو "الإبدال" Displacement أيضاً، إذ غالباً مايتولد سلوك عدواني عن الإحباطات التي تحول دون تحقيق الفرد لآماله وإشباعه لحاجاته، فلا يستطيع أن يوجه عدوانه نحو المثيرات التي أثارت نوازعه العدوانية، فيوجه عدوانه الى أفراد الأقليات عن طريق "الإبدال"، فيكون التعصب هنا ناتجاً عن إسقاط لنقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين الذين يعدّون ضحايا أو أكباش فداء (المعايطة، ٢٠٠٠، ص٢١١).

٢- منظور التعلم الاجتماعي

يعالج هذا المنظور التعصبَ على أساس أنه اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بالطريقة نفسها التي تكتسب بها سائر الاتجاهات والقيم الاجتماعية، اذ يتم تناقله بين الأشخاص بوصفه جزءً من المحصلة الكبرى لمعايير الثقافة. ويكتسب الأشخاص الاتجاهات التعصبية من خلال أربع قنوات رئيسة لعملية التنشئة الاجتماعية، هي: الوالدان، والمدرسون، والأقران، ووسائل الاعلام الجماهيري. وهناك نظريتان أساسيتان في هذا المنظور التعليمي، هما: نظرية الاشتراط الكلاسيكي لـ "بافلوف"، ونظرية التعلم الاجتماعي لـ "باندورا وولترز" (عبد الله، ١٩٨٩، ص١٢٢).

٣- المنظور المعرفي

يهتم هذا المنظور بدراسة "الصور النمطية" التي يكوّنها أفراد الجماعات المختلفة نحو بعضهم البعض، وأنماط التحيزات التي توجد بين هذه الجماعات. فحين يقوم

جمع من الأشخاص بتكوين انطباع محدد عن شخص آخر، فغالباً ما يؤدي ذلك الى حدوث تشويهات في إدراكاتهم، ما يجعلهم يستجيبون لمعظم المنبهات باستجابات مفرطة. وتؤدي هذه المحاولات نفسها الى حدوث التعصب وتكوين القوالب النمطية (عبد الله، ١٩٨٩، ص١١٢).

٤- المنظور الظواهري (الفينومينولوجي)

يركز هذا المنظور على الطريقة التي يدرك بها الأشخاص عالمهم. فالمهم ليس دراسة العالم الموضوعي بل إدراكات الفرد له. وهذه الإدراكات تتأثر بالخبرات الماضية، وسلوك الآخرين في الموقف، وانتباهنا الانتقائي لعناصر الموقف. وإن امتزاج هذه العوامل سيؤثر بدوره في طبيعة سلوكنا، فيشتد التعصب أو يخف تبعا لإدراكنا لمدى عدائية الشخص أو الجماعة التي نتفاعل معها (Deaux & Wrightsman, 1984, p.265).

س٣- كيف يكتسب الأطفال اتجاهاتهم التعصبية في ضوء علم النفس المعاصر؟

إن استقراء الأدبيات التي سعت الى معالجة مضمون هذا السؤال يشير الى وجود توجهين نظريين متنافسين، وكما يأتي:

أ- التعصب بوصفه نتاجاً للتنشئة الاجتماعية : "منظور التعلم الاجتماعي"

حينما يكون للتعصب جذوره في ثقافة الأغلبية، ويحتل مكانته في المؤسسات واللغة والتفاعل الثقافي، وتتغلغل آثاره الثقافية في نسيج المجتمع، هنا تصبح عمليةُ التنشئة الاجتماعية، والتي تتم بمقتضاها نقل الثقافة من جيل الى جيل، محدداً مهماً للتعصب (دكت، ٢٠٠٠، ص٢٣١).

فعندما تهيمن الإتجاهات التعصبية في مجتمع ما، فإنها تمنح أفراد ذلك المجتمع منحى تعصبياً في شخصياتهم مستقبلاً. ويتم انتقال هذه الإتجاهات إلى الأطفال عبر التعلم بالملاحظة أو توجهات المعلمين وجماعات الأقران. وتؤدي الأسرة دوراً أساسياً في عملية التنشئة هذه، بنقلها سلوك التعصب أو التطرف إلى أبنائها بواسطة آلية نفسية محددة هي "التعلم بالأنموذج"، إذ أن مشاهدة الطفل لسلوك التعصب لدى والديه في المواقف الدينية أو السياسية أو العشائرية، لايثير لديه سلوكاً غير مرغوب به فحسب، بل يغرس التعصب في شخصيته (البصري، ٢٠٠١). ويمارس "النماذج" Models أقوى تأثيراتهم على الأطفال عند أعتاب سن السابعة أو الثامنة، فيصبح الطفل متعصباً نتيجة لتحيزات الأسرة واتجاهاتها، ومن خلال عيشه في بيئة تشجع التعصب (Bergen, 2001) .

"النمذجة" Modeling مصطلح اشتقه "باندورا" Bandura ضمن نظريته في التعلم الاجتماعي، للإشارة إلى أن التعلم يمكن أن يحدث ليس بإشراط الاستجابات فحسب، وإنما أيضاً من خلال تقليد سلوك الآخرين (نماذج) حتى في حالة عدم وجود تعزيز مباشر (Sprinthall et al, 1994, p.644). والنمذجة هي الوجه الآخر لفكرة "التعلم بالملاحظة" Observational learning التي ترى بأن الناس غالباً ما يتعلمون ليس عن طريق تعزيزهم فحسب، وإنما عن طريق ملاحظة السلوكيات المنجزة من الآخرين، لتعمل بوصفها معززات لهم أيضاً. وقد سُمي هؤلاء الأفراد الذين ينظر إلى سلوكهم لمحاكاته أو لتجنبه بـ "النماذج" Models. فاستدعت هذه النظرة اشتقاق مصطلح "التعزيز بالانابة" Vicarious Reinforcement الذي يمارس وظيفته عندما نقوم بملاحظة شخص آخر (أنموذج) عُزز نمطه السلوكي من الآخرين

لإنجازه فعلاً ما، فنعتقد بأن إنجازنا للفعل ذاته سيقود الآخرين الى تعزيزه لدينا أيضاً (العاني، ١٩٨٩، ص٧٦-٧٧).

وعلى أساس ذلك، ترى نظرية التعلم الاجتماعي أن الأطفال يكتسبون الإتجاهات السلبية إزاء مختلف الجماعات نتيجة سماعهم لوجهات نظر سلبية حولها من الاشخاص المهمين في حياتهم، أو نتيجة مكافأة هؤلاء الأطفال عند تصريحهم بمثل وجهات النظر هذه. فقد وجد Ashmore & DelBoca 1976 أن اتجاهات الأطفال العنصرية تكون قريبة من اتجاهات والديهم، وأن الأطفال قد يذوّتون (أي يدمجون في ذواتهم) أو يتعلمون التعصبات التي "يلاحظونها" لدى والديهم (مكلفين وغروس، ٢٠٠٢، ص٢٧٥). وفي دراسة Sinclair 2005 وزملائه التي شملت أطفالاً بيض من الجنسين في سن العاشرة والحادية عشرة، وجد أن التطابق يزداد بين الاتجاهات التعصبية نحو السود لدى كل من الوالدين وأبنائهم كلما ازداد توحد الأبناء بوالديهم؛ وبالعكس فإن الأبناء ضعيفي التوحد بوالديهم أظهروا تطابقاً أقل في اتجاهاتهم التعصبية مع اتجاهات والديهم (Sinclair et al., 2005, p. 283). كما إن وسائل الاعلام حينما تقوم بتصوير هذه الجماعات في أدوار مهينة أو مثيرة للسخرية، فلا يكون مستغرباً أن يكتسب الأطفال الإعتقاد بأن بعض الجماعات لها قيمة أقل من غيرها (مكلفين وغروس، ٢٠٠٢، ص٢٧٥).

فالتعصب بهذا المنظور ليس غريزياً، بل يتم تعلمه مباشرة من البيئة أو عبر الرسائل اللفظية. وإذا كان هناك دور للجينات في نشوء التعصب، فهو دور غير واضح، اذ استنتجت المراجعات الشاملة التي اجريت لدراسات أصول التعصب لدى الأطفال، أن هناك ارتباطاً ضعيفاً جداً بين التعصب والحامض النووي DNA.

ومع إن البعض يستشهد بحقيقة أن الأطفال الصغار جداً في كافة انحاء العالم، يبدون عدم ارتياح نحو الغرباء، بوصفها مثالاً للاستعداد الفطري لنشوء الأشكال الأولية من التعصب، إلا أن التعصب من جهة اخرى يبدو مسألة بيئية، وهو يُعامَل على هذا الاساس (Bergen, 2001).

ويلاحظ في المراجع المتخصصة بدراسة كيفية اكتساب التعصب، إنها تميز بين عمليات اكتساب مباشرة مقابل عمليات اكتساب غير مباشرة، إذ يمكن تعليم التعصب وتعزيزه بصورة مباشرة ومقصودة. وبالعكس قد ينقل بصورة غير مباشرة وبدون مقصد شعوري من جانب مسؤولي التنشئة الاجتماعية، وفي هذه الحالة يتم اكتسابه من خلال عمليات "التقليد" و"الملاحظة" و"النمذجة" و"التوحد" التي سبق أن أشير إليها. كما يمكن تنشئة الطفل على التعصب بطريقة غير مباشرة أيضاً من خلال تعليمه القيم والمعتقدات الاجتماعية التي قد لا تحتوي بذاتها على تعصب, ولكن يمكن تعميمها لتسهيل اكتساب التعصب أو تعميمه، مثل: "عدم تحمل الاختلاف" Intolerance of Difference, وعدم الثقة بالغرباء وسلوكياتهم، والفخر المبالغ به بهوية الجماعة الداخلية وتقاليدها (دكت، ٢٠٠٠، ص٢٢٤-٢٢٥).

ويبقى السؤال: أيهما أكثر فاعلية، التعليم المباشر أم غير المباشر للتعصب؟ قد لا يكون هذا سؤالاً مفيداً, إذ يبدو أن كليها له أهميته. أما السؤال الاكثر جدوى هو: في أي الظروف تصبح الطرائق المباشرة في تنشئة الأفراد على التعصب أكثر فاعية من نظيراتها غير المباشرة, وبالعكس؟ في هذه الحالة يمكننا تحديد عدد من الفروض، فمثلاً حينما تكون المشاعر التعصبية الصريحة مقبولة حسب معاير مجتمع مثل جنوب افريقيا (سابقاً)، سيكون التعليم الصريح والمباشر أكثر أهمية. وينطبق ذلك على حالات

التنافس المباشر والعداء الصريح. أما عند الجماعات المتكاملة شكلياً, وحينما يكون السائد هو معتقدات الأخوّة والمساواة, يصبح التعليم المباشر للتعصب نادراً, أي تكون الطرائق غير المباشرة في اكتساب التعصب أكثر اهمية (دكت, ٢٠٠٠, ص٢٢٦).

ب- التعصب بوصفه نتاجا" للنموالمعرفي ولبناء الهوية: "المنظور المعرفي – الدافعي"

يقول Milner 1983 أن تنشئة الطفل على الإتجاهات العنصرية الخاصة بالثقافة أو الوسط الذي يعيشه, ليست عملية تلقين Indoctrination سلبي، بل بالعكس, فالطفل يشارك بإيجابية, ويتشوق في البداية للحصول على المعلومات والمصادر المتاحة, ثم يبحث بعدها عن مصادرمستقلة عنه. فالطفل يكافح للحصول على فهم للعالم، وهذه مهمة بنائية إيجابية، وليست مجرد امتصاص كسول لأداء الوالدين (دكت, ٢٠٠٠, ص٢٢٣)؛ بمعنى أن الأطفال الصغار معرّضون الى التعصب، لأنهم لا يستطيعون معالجة تصنيفات عقلية متعددة، ولا الانتباه الى منظورين مختلفين أو أكثر في آن واحد معاً (Rutland et al, 2003).

ومع إن Milner 1997 يقبل الرأي القائل أن محتوى الاتجاهات العنصرية يأتي من مصادر اجتماعية متنوعة, إلا أنه يجادل بأن المصادر الثقافية المحيطة، ,ككتب الأطفال, لاتتضمن مقداراً كافياً من المادة الخام يبرر القول بأنها تؤدي دوراً رئيساً في تطوير الإتجاهات التعصبية لدى الأطفال. فالأطفال أنفسهم، حسب قوله، يقومون بدور نشيط في تطور الوعي التعصبي والاتجاهات التعصبية لديهم. فهم لايعملون على امتصاص اتجاهات الراشدين فحسب, ولا يسعون الى الوصول الى بناء معرفي منظم للعالم من حولهم فحسب، وإنما هم يمتلكون حاجات اجتماعية تدفعهم الى

تحديد مواقعهم ومواقع جماعتهم في المحيط الاجتماعي على نحو يفضي إلى بناء اعتبار إيجابي للذات وللجماعة التي ينتمون اليها, أي بناء هويتهم. ومن هنا فإن تبني عضوية جماعة معينة في الطفولة ينطوي على اعتبار اجتماعي كبير يبرر المسعى المبذول لنيله. وقد تحقق هذه الإتجاهات التعصبية هذا الغرض للاطفال الذين ينتمون الى جماعة الأكثرية في مجتمع متعدد الاعراق، إلا أن تلك الاتجاهات لايمكن أن تحقق هذا الغرض لجماعة الأقلية (مكلفين وغروس, ٢٠٠٢, ص٢٩٠-٢٩١).

فإذا صح القول أن الأطفال الذين ينتمون الى جماعة الأكثرية يسعون بأنفسهم أو يُستدرَجون الى التعصب لأن العلاقات الفوقية تشبع حاجاتهم الآخذة في النمو الى هوية اجتماعية ايجابية, فإن ذلك من شأنه أن يؤكد حتمية العنصرية لدى جماعة الأكثرية وتعذر استئصالها في الوقت نفسه؛ غير إن Milner يجادل قائلاً أن الحاجة الى هوية اجتماعية إيجابية يمكن أن تلبى بطرائق أخرى عديدة غير التعصب ضد جماعة أخرى (مثل الوقوف الى جانب فريق منتصر في كرة القدم مثلاً). ويضيف قائلاً أن هذه الفكرة لا تقتضي اقحام العنصرية عميقاً في الحسابات النفسية للأطفال, بل إنها تقطع القول بعنصرية الطفولة من أساسه. فالاتجاهات التعصبية للأطفال تتصل بحاجات الهوية الآخذة بالنمو لديهم أكثر مما تتصل بالموضوعات التي تنصب عليها تلك الاتجاهات, والتي سرعان ما تتبدل لتحل محلها مقومات أخرى للمكانة وتقدير الذات (مكلفين وغروس, ٢٠٠٢، ص ٢٩٢).

وتتفق طروحات Milner مع نتائج عدد من الدراسات التي حاولت أن تجيب على السؤال الآتي: ((متى وكيف يكتسب الأطفال اتجاهات سلبية نحو الآخرين؟)). فقد توصلت دراسة Aboud & Doyle 1975 في كندا الى ما يأتي: (Klopp, 1996)

- تظهر الاتجاهات التعصبية لدى الأطفال في سن الخامسة .
- تبدأ هذه الاتجاهات بالانحسار في سن الثامنة أو التاسعة, إذ ياخذ الأطفال بالانتباه الى الخصائص الفردية للناس بعيداً عن التصورات النمطية.
- يرتبط تحسس الأطفال للتعصب بتطورهم المعرفي, وليس بتقليدهم لآبائهم وأمهاتهم فحسب خلال عملية التنشئة الاجتماعية.
- لاتوجد براهين قوية على أن الأطفال في سن الخامسة الى الثامنة, يتأثرون بالاتجاهات السلبية الموجودة لدى ذويهم واقرانهم.

وفي الاتجاه نفسه، توصلت دراسة Bushkin & Veness 1973 إلى أن الاتجاهات التعصبية تبلغ ذروة العدائية عند سن السادسة أو السابعة من العمر، ثم تتراجع فيما بعد. وعلاوة على ذلك, اذا ما كان للاتجاهات العنصرية هذه الأهمية المحورية في هويات الأطفال, فإنها يجب أن تستمر الى الرشد, لكن ذلك لا يحدث على ما يبدو (وإن كان هناك بعض الاستثناءات). وعليه فإن النظر الى الاتجاهات العنصرية العدائية بوصفها ظاهرة عابرة, يمثل عاملاً مشجعاً للتربية متعددة الاعراق، وللمجتمع في نطاق حياته الواسع (مكلفين وغروس, ٢٠٠٢، ص ٢٩٢-٢٩٣).

س٤- الى أي حد يكتسب الأطفال التعصب أو التسامح من والديهم ومعلميهم؟ وهل يبقى التعصب اتجاهاً ثابتاً بالضرورة في شخصية الطفل المتعصب، أم إنه قابل للتغير بمرور العمر؟

فيما يأتي نتائج ثلاث دراسات حاولت تتبع مضامين هذا السؤال:

- الدراسة الأولى: في هذه الدراسة الكلاسيكية التي قام بها "أدورنو" Adorno وزملاؤه ١٩٥٠، ظهرت أدلة على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين الاتجاهات

التسلطية لدى الآباء والاتجاهات التعصبية لدى أطفالهم، بوصفها ميكانزمات دفاعية محتملة يستخدمونها للتصدي لمشكلاتهم حينما يكبرون. فالأفراد ذوو الشخصيات المتسلطة يتسممون بكونهم جامدين وتقليديين، ويؤيدون العقاب، وينشغلون بالقوة والخشونة، ويتهكمون على الطبيعة البشرية، ويخشون الأفرادَ ذوي النفوذ والسلطة، ويقتنعون بأهمية الطاعة. وقد اتضح في الدراسة أن الأفراد المتسلطين غالباً ما يعتنقون تعصبا حاداً، ويقولون أن آباءهم كانوا باردين ويميلون الى العقاب بشدة، وإنهم كانوا في طفولتهم خائفين من والديهم وغاضبين منهم، ولذلك أصبحوا غير آمنين ويتمسكون بالعدوان عندما كبروا، إذ يقومون باسقاط عدم كفايتهم على أفراد جماعات الاقلية عديمة القوة، ويزيحون غضبهم من آبائهم إلى هؤلاء الضحايا (دافيدوف، ١٩٨٣، ص٧٨٢).

- الدراسة الثانية: "جين إليوت" Jane Elliot ١٩٧٠م معلمة في الصف الثالث الابتدائي ،شعرت بالانزعاج من التوجهات الانعزالية في حياة تلاميذها الذين كانوا جميعاً من البيض المسيحين. ولذا، ارتأت أن من المهم لنموهم الاجتماعي أن تمنحهم بعض الخبرات المباشرة عن "التنميط" Stereotyping و"التمييز" discrimination بالاتجاهين. وللوصول الى هذه الغاية، قسمت "جين إليوت" تلاميذها حسب لون عيونهم، إذ أخبرتهم أن الناس ذوي العيون الزرق يتفوقون على ذوي العيون البنية في ذكائهم وجمالهم وإمكانية الثقة بهم. ثم طلبت من التلاميذ ذوي العيون البنية أن يرتدوا ياقة خاصة لتميزهم بأنهم أعضاء الجماعة الرديئة، فيما أخبرت ذوي العيون الزرق بأنهم سيحصلون على امتيازات عند ذهابهم الى مطعم المدرسة، وبأنه سيسمح لهم بوقت أطول للعب، وأخذت تمدحهم في غرفة الصف. فكيف كانت

استجابات الأطفال؟ لقد نجحت "إليوت" في خلق نموذج مصغر لمجتمع متعصب في صفها. فقبل ساعات قليلة من بدء هذه التجربة, كان الأطفال متعاونين ويشكلون مجموعة متماسكة. ولكن ما إن غرست بذور الانقسام بينهم حتى بدأت المتاعب. فقد أخذ الأطفال ذوو العيون الزرق (المتفوقون) بالسخرية من ذوي العيون البنية, رافضين اللعب معهم, وبالوشاية بهم لدى المعلمة, ومطالبين اياها بمعاقبتهم, حتى إنهم بادروا الى الاشتباك بهم في ساحة المدرسة. أما التلاميذ ذوو العيون البنية (الرديئون) فأصبحوا حساسين ومكتئبين وضعيفي المعنويات, وقدموا أداءً ضعيفاً في الامتحانات الصفية لذلك اليوم. وفي اليوم التالي, قدمت "إليوت" صورة نمطية معاكسة للون العيون, إذ أخبرت تلاميذها بأنها ارتكبت خطأ فظيعاً بالأمس, فذوو العيون البنية هم المتفوقون في الحقيقة, وطلبت منهم أن يخلعوا ياقاتهم ويعطوها لذوي العيون الزرق, ففعلوا ذلك بانشراح. وعندها انعكست الادوار, ومارس ذوو العيون البنية انتقامهم. في صبيحة اليوم الثالث, شرحت "إليوت" لتلاميذها حقيقة التجربة وإنهم قد تعلموا الآن معنى التعصب والتمييز، وكيف يمكن للشخص أن يشعر إذا ما مورس التعصب ضده بسبب اللون. وقد ناقش التلاميذ تجربة هذين اليومين وفهموا مغزاها بوضوح. وبعد سنوات من هذه التجربة التقت "إليوت" بتلاميذها هؤلاء مجتمعين في صف لهذا الغرض بعد أن بلغوا أواسط العشرين من أعمارهم، فاتضح أن ذكرياتهم ماتزال واضحة جداً بشأن تلك التجربة، وأفادوا بأنها تركت أثراً قوياً ودائماً في حياتهم، إذ أصبحوا يشعرون بأنهم أقل تعصبا وأكثر وعياً بمشكلة التمييز ضد الآخرين (Aronson et al., 2004, p.467).

- الدراسة الثالثة: قام Rohan & Zanna 1996 بتفحص الحكمة الفولكلورية القائلة: ((التفاحة لاتسقط أبداً بعيداً عن شجرتها))، من خلال دراستهم لتشابه الاتجاهات والقيم بين الآباء والأبناء. فوجدوا أن هذه الحكمة تنطبق أكثر عندما تكون لدى الآباء اتجاهات وقيم تتعلق بالدعوة للمساواة Egalitarian، أي إن التشابه يكون أقوى بشكل ملحوظ بين الأطفال وآبائهم عندما تكون لهؤلاء الآباء اتجاهات وقيم تتضمن فكرة المساواة، مما لو كان لديهم قيم واتجاهات تعصبية. وقد يكون سبب هذا التناقض هو إن الحضارة بمجملها أكثر مناداة بالمساواة من مناداتها بالتعصب، اذ عندما يغادر الأبناء البيت (للذهاب الى الكلية مثلاً) يزداد احتمال تعرضهم لوجهات النظر المعاكسة لما تعرضوا اليه من والديهم (Aronson et al.,2004, p.467).

س ٥- ما الاسس النمائية (المعرفية والخلقية) للاتجاهات التعصبية لدى الأطفال؟

لا يمكن فهم النمو الاجتماعي للكائن البشري دون التعمق في فهم نموه المعرفي والخلقي. فنمو المفاهيم وتكوين المخططات الإدراكية لدى الطفل، فضلاً عن انبثاق الضمير وظهور معايير التفضيل والحدود بين المقبولات والممنوعات لديه، تشكل الارضية الممهدة لنشوء شخصيته الفردية والاجتماعية.

- **النمو المعرفي للتعصب**

يتفق عدد كبير من الدراسات على أن الأطفال منذ سن الثالثة يظهرون تفضيلاً وجدانياً واضحاً تجاه جماعتهم، بالمقايسة مع تفضيل أقل حيال الجماعات الأخرى. كما تحدد النتائج المشتركة في أدبيات التعصب لدى الأطفال، إن هذا التعصب يبلغ ذروته بين السنتين الخامسة والسابعة من العمر، ثم يبدأ بالتراجع تدريجياً. ويعد

اكتشافُ هذا التدرج النمائي المفتاحَ الذي أسهم في صياغة "النظرية التطورية المعرفية الخاصة بنمو اتجاهات الأطفال نحو الجماعات الاخرى" Children's Developing Intergroup Attitudes - Cognitive Development Theory (CDT) (Rutland et al., 2003).

ترى هذه النظرية أن الأطفال الصغار غير الناضجين معرفياً معرّضون الى التعصب لأنهم لا يستطيعون معالجة تصنيفات عقلية متعددة، ولا الانتباه الى منظورين مختلفين أو أكثر في آن واحد معاً. ولكن ما أن يحصل التطور المعرفي، حتى يستطيع الأطفال عندها التحول من التصنيف الاجتماعي الى التفكير الفرداني، فيبدأون بتكوين أحكامهم بلغة العلاقات المتفردة بين الأشخاص بدلاً من الاحتكام الى خصائص النظرة المتبادلة بين الجماعات عن بعضها. وتتنبأ هذه النظرية بأن الأطفال في عمر الخامسة يظهرون مستوى عالياً من التمييز في أحكامهم عن الجماعات، فيصل التعصب ذروته في حوالي سن السابعة، ثم يبدأ بالهبوط بتأثير اكتساب التفكير الاجرائي المحسوس Concrete Operational Thought. إلا أن بعض الدراسات أشارت الى أن هذا التدرج النمائي لمفهوم التعصب لا يحدث على الدوام، إذ وجد في حالات عديدة إن الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة والمراهقة المبكرة يستمرون في إظهار التمييز في أحكامهم عن الجماعات. كما تواجه النظرية التطورية المعرفية (CDT) صعوباتٍ في تفسير التعصب عبر كل المجالات، لاسيما الجنس والقومية (Rutland et al, 2003).

- **النمو الخلقي للتعصب**

توجد أدلة على أن التعصب لدى الأطفال لا يختلف عما هو عليه لدى الكبار فحسب، ولكنه يتغير أيضاً في نمط مخالف لنمو الحكم الخلقي Moral Judgment . فقد قام Davidson 1994 بإجراء عدد من الدراسات المستعرضة والطولية على تلاميذ المدارس في المدن الامريكية، ابتداءً من سبعينات القرن الماضي، كان بعضها إرشادياً، باستخدام المقابلات والمقاييس والملاحظات، للتحقق ما إذا كان هناك ارتباط بين درجة التعصب ومراحل النمو الخلقي على مقياس "كولبرج" Kohlberg. وقد اتضح أن هناك ارتباطاً بين التعصب ومراحل النمو الخلقي الواطئة، وإن بالإمكان خفض التعصب من خلال العمل على رفع هذه المراحل الاخلاقية وتقوية الضمير والنمو الخلقي لدى الأطفال (Davidson, 1994 & Davidson).

وفي دراستين أخريين في بريطانيا, حاول Rutland 2005 وزملاؤه اختبار الفرضية القائلة أن تعرض الأطفال للمعايير الاجتماعية واهتمامهم بتقديم أنفسهم إيجابياً للآخرين, يمكن أن يؤثر إيجابياً في اتجاهاتهم العرقية والقومية. اشترك في الدراسة الاولى (١٥٥) طفلاً بريطانياً أبيض في ثلاث مجموعات عمرية : (٦-٨), (١٠-١٢), (١٤-١٦) سنة, لاختبار ما اذا كانوا سيحاولون تقديم صورة ايجابية عن أنفسهم عبر تحكمهم بنزعات التعصب والتمييز لديهم؛ فيما شملت الدراسة الثانية (١٣٤) طفلاً بريطانياً أبيض أيضاً. وصممت الدراسة لمعرفة مدى كبح الأطفال البريطانيين لاتجاهاتهم التعصبية القومية ضد الألمان. وجرى إخبار بعض الأطفال في كلا الدراستين بأن لقاءاتهم مع الباحثين سيتم تصويرها بالفديو وعرضها على معلميهم

وبعض الكبار فيما بعد, بينما لم يتم تصوير البعض الآخر, ما أتاح إمكانية تنويع درجة المسؤولية التي سيشعر بها الأطفال نحو استجاباتهم. وقد اظهرت النتائج أن الأطفال عندما يدركون أن المعايير الاجتماعية حولهم لاتؤيد التعصب, وبأن سلوكهم عرضة لمراقبة الآخرين, فسيزداد الاحتمال بأن يكبحوا اتجاهاتهم التعصبية داخل جماعاتهم الاجتماعية. ولذلك أوصت الدراسة بأن بدلاً من محاولات خفض الاتجاهات التعصبية لدى الأطفال كل على حدة, فمن الافضل إجراء تغييرات في المعايير الشائعة في البيئة الاجتماعية, الأمر الذي سيؤدي الى إحدات تغييرات ايجابية ملموسة في اتجاهاتهم تلك (Browning, 2005).

س٦- ما العوامل المعرفية، والمتغيرات الموقفية، التي يُتوقع أن تساعد الأطفال على إدراك الاتجاهات التعصبية حولهم؟ وما الفروق الفردية التي يحتمل أن تعمل على تسهيل هذا الادراك؟

عندما يدرك الطفل أن الآخرين متعصبون ضده لكونه منتمياً الى جماعة معينة، سيؤثر ذلك في تكوين هويته، وفي علاقاته بأقرانه، وبتحصيله الدراسي، وبأهدافه المهنية لاحقاً، وبراحته العقلية والبدنية. كما إن إدراك الطفل أن الآخرين هم ضحايا للتعصب، سواء كانوا من جماعته أو من جماعات اجتماعية أخرى، يمكن أن يؤثر في نموه الاجتماعي والانفعالي. وبناءً على ذلك، فمن المستبعد أن نحقق فهماً تاماً

لنمو المعايير لدى الأطفال، دون أن نفهم كيف ومتى يبدأون بإدراك التعصب، وكيف تؤثر هذه الادراكات في مخرجاتهم النمائية (Brown & Bigler, 2004, p.2).

ولتحديد العوامل الداخلية (كالمهارات المعرفية مثلاً) والعوامل الخارجية (كالمعلومات الموقفية مثلاً) التي تقوي إدراك الأطفال للتعصب، اقترح Brown & Bigler 2004 أنموذجاً Model نمائياً يتألف من ثلاثة مكونات هي:

١- القدرات المعرفية: يتوقع أن تقف هذه القدرات خلف إدراك الأطفال للتعصب، سواء الموجه إليهم أو إلى الآخرين. ولهذا يحاول الأنموذج أن يفسر التغيرات النمائية في إدراكات الأطفال بالرجوع الى التغيرات الحاصلة في مهاراتهم المعرفية نتيجة التقدم بالعمر، مفترضاً أهمية هذه المهارات في استكشاف السلوك التعصبي .

٢- العوامل الموقفية: قد يستعين الأطفال ببعض الإشارات الموقفية عند محاولتهم عزو سلوك الآخرين الى دوافع تعصبية أو غير تعصبية.

٣- الفروق الفردية: تعمل بعض الفروق الفردية بين الأطفال على جعل بعضهم أكثر ميلاً لإدراك التعصب من بعضهم الآخر.

(Brown & Bigler, 2004, p.5)

ويظهر هذا الأنموذج الثلاثي (بعد ترجمته بتصرف)في الجداول (١) و(٢) و(٣) أدناه:

الجدول (١)

العوامل المعرفية التي تسهل إدراك الأطفال للتعصب

نوع المعرفة	مجالها	الافتراض
المعرفة الحضارية Cultural Cognition (أي فهم الطفل لمعنى العرق Race والنوع (Gender	يمتلك الطفل معرفة بتصنيف الجماعات (العمر ٦ سنوات).	الأطفال القادرون على تمييز النوع والعرق لديهم ولدى الآخرين، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يمتلك الطفل معرفة بالأفكار النمطية Stereotypes للجماعات (العمر ٥ سنوات).	الأطفال العارفون بمحتوى الأفكار النمطية الخاصة بالعرق والجنس، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يفهم الطفل التضمينات الاجتماعية للأفكار النمطية (العمر ١٠ سنوات).	الأطفال الذين يفهمون أن الآخرين يحتفظون بأفكار نمطية تقودهم إلى التمايز في المكانة، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
المعرفة الاجتماعية Social Cognition (أي فهم الطفل للعمليات المعرفية لدى الآخرين)	يفهم الطفل أن الآخرين لديهم عمليات معرفية قد تختلف عما لديه، وإنها هي التي تحفز سلوكهم (العمر ٦ سنوات)	الأطفال الذين يفهمون أن الآخرين قد يعتنقون معتقدات نحو النوع والعرق مختلفة عن معتقداتهم، وإن هذه المعتقدات توجه سلوكهم، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يفهم الطفل أن الناس يمكن أن تظهر لديهم عمليات معرفية وسلوكيات غير متطابقة (العمر ٦ سنوات).	الأطفال الذين يفهمون أن الآخرين قد تكون لديهم نوايا تعصبية مقسمة بفاعلات اجتماعية إيجابية، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يفهم الطفل أن الأنظمة الاجتماعية قد تعكس التحيزات biases التي يمارسها أفرادها (عمر المراهقة).	الأطفال الذين يفهمون أن الانتظامية الاجتماعية قد تمارس تحيزات نظامية Systematic، من المرجح أن يدركوا التعصب المؤسساتي Institutional (أي الذي تمارسه المؤسسات).
مهارة التصنيف Classification Skill	يفهم الطفل الطبيعة الهرمية للفئات الاجتماعية (العمر ٧ سنوات).	الأطفال الذين يفهمون أن الأفكار النمطية تصبح متشابهة لدى الأفراد كلما ازداد حجم الجماعة التي ينتمون إليها، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يمتلك الطفل مهارة التصنيف المتعدد (العمر ٧ سنوات)	الأطفال القادرون على تصنيف الآخرين ضمن مجموعتين غير متداخلتين (مثلاً مجموعة عرقية، ومجموعة بيئية)، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
الاستدلال الإدراكي Normal Reasoning	يفهم الطفل أن الكبار قد يتصرفون بأسلوب غير عادل (العمر ٦ سنوات).	الأطفال الذين يعرفون أن الكبار يمكن أن يتصرفوا بطريقة غير عادلة، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.
	يطور الطفل أحكاماً من العدل والإنصاف (العمر ٨ سنوات).	الأطفال الذين ينتهون إلى عوامل "القدرة" و"الجهد" و"النوايا" عند تقويمهم لمدى عدالة المخرجات، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف، في حالة تكافؤ العوامل القريبة.
	يضع الطفل في حسبانه المصادر التي يتأتى منها الظلم عندما يصدر أحكامه عن العدل (عمر المراهقة).	الأطفال الذين يدركون أن الظلم عبر الجماعات الاجتماعية قد يكون ناجماً عن تحيزات نظامية، من المرجح أن يدركوا التعصب.
المقارنات الاجتماعية Social Comparisons	قدرة الطفل على عقد مقارنات بين الأفراد، ضمن وعبر الجماعات الاجتماعية (العمر ٩ سنوات).	الأطفال القادرون على مقايسة أدائهم الخاص بأداء أقرانهم ضمن جماعتهم أو خارجها، من المرجح أن يدركوا التعصب عبر المواقف.

(Brown & Bigler, 2004, p.32)

الجدول (٢)
العوامل الموقفية التى تسهل ادراك الأطفال للتعصب

العوامل الموقفية	الافتراض
الهدف الذي يتجه إليه التعصب	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يكون موجهاً نحو الأفراد الآخرين (أو الجماعات الإخرى) أكثر مما لو كان موجهاً نحو الذات.
المعرفة بالشخص المتعصب	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يعرفون أن الشخص المتعصب ضدهم مدرك لعضويتهم في الجماعة ومسلم بمعتقداتهم المتحيزة لجماعتهم هذه، أكثر مما لو لم تكن لديهم هذه المعرفة.
توافر المقايسة بالاخرين	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يطلعون بما يأتي: ا- إن شخصاً آخر في جماعتهم قد تلقى أيضاً تقويماً سلبياً. ب- إن شخصاً اخر في جماعة خارجية قد تلقى مخرجات أكثر ايجابية ..... أكثر مما لو لم تكن لديهم هذه المعرفة.
الصلة بالأفكار النمطية	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يكون للموقف صلة بالأفكار النمطية الاجتماعية، أكثر مما لو لم يكن للموقف صلة بها.
الإسناد الاجتماعي	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب حينما يعتقدون أن الاخرين يساندونهم في تصوراتهم عن هذا التعصب، أكثر مما لو كانوا لا يعتقدون بوجود هذا الإسناد.

(Brown& Bigler, 2004, p.33)

الجدول (٣)
الفروق الفردية التي تسهل إدراك الأطفال للتعصب

العوامل الموقفية	الافتراض
الهدف الذي يتجه إليه التعصب	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يكون موجهاً نحو الأفراد الآخرين (أو الجماعات الإخرى) أكثر مما لو كان موجهاً نحو الذات.
المعرفة بالشخص المتعصب	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يعرفون أن الشخص المتعصب ضدهم مدرك لعضويتهم في الجماعة ومسلم بمعتقداتهم المتحيزة لجماعتهم هذه، أكثر مما لو لم تكن لديهم هذه المعرفة.
توافر المقايسة بالآخرين	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يطلعون بما يأتي: ا-إن شخصاً آخر في جماعتهم قد تلقى أيضاً تقويماً سلبياً. ب-إن شخصاً آخر في جماعة خارجية قد تلقى مخرجات أكثر ايجابية .... أكثر مما لو لم تكن لديهم هذه المعرفة.
الصلة بالأفكار النمطية	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب عندما يكون للموقف صلة بالأفكار النمطية الاجتماعية، أكثر مما لو لم يكن للموقف صلة بها.
الإسناد الاجتماعي	من المرجح أن يدرك الأطفال التعصب حينما يعتقدون أن الآخرين يساندونهم في تصوراتهم عن هذا التعصب، أكثر مما لو كانوا لا يعتقدون بوجود هذا الإسناد.

الفروق الفردية	الافتراض
العضوية في الجماعات الاجتماعية	من المرجح أن يزداد إدراك الأطفال للتعصب عندما يكونون منتمين إلى جماعات لإتحظى بالاستحسان.
المعرفة بالتعصب	من المرجح أن يزداد إدراك الأطفال للتعصب كلما كانت لديهم معرفة به.
اتجاهات الجماعة	من المرجح أن يزداد ادراك الأطفال للتعصب إذا كانوا يؤمنون بالاتجاهات المساوئة لدى جماعتهم.
هوية الجماعة	من المرجح أن يزداد إدراك الأطفال للتعصب إذا كانوا متوحدين بقوة مع جماعتهم.

(Brown& Bigler, 2004, p.33)

س٧ - كيف يمكن خفض التعصب والحد منه لدى الأطفال ؟

تعد المعلومات الخاطئة التي يكتسبها الفرد عن الجماعات الخارجية، الأساسَ لتكوين الصور النمطية والاتجاهات التعصبية لديه. ولذلك ظل الباحثون الاجتماعيون لسنوات طويلة يعتقدون أن مجرد تعريض الناس لمعلومات صحيحة أو دقيقة، سيؤدي الى زوال هذه الاتجاهات التعصبية لديهم. إلا أن الأسس الانفعالية الكامنة للتعصب، فضلاً عن بعض عناصره المعرفية المكتسبة بعمق (كالتحيزات العزوية Attributional Biases والتوقعات المتحيزة Biased Expectations والارتباطات الوهمية Illusory Correlations) تجعل من الصعب تعديل هذه الاتجاهات بمجرد تزويد الناس بمعلومات صحيحة (Aronson et al, 2004, p.494).

فعلاج التعصب بوصفه سلوكاً متعلماً، يحتاج لكثير من الوقت والجهد. وهو بوصفه اتجاهاً، فإن تغييره يتطلب استعمال أساليب تغيير الاتجاهات بالإقناع والدعاية عبر وسائل الإعلام والتثقيف. وطالما إن هناك عنصراً فكرياً في التعصب, فإن الدعاية المضادة له قد تحقق بعض النجاح في علاجه, غير إن بعض المجتمعات تبقى أسيرة

التعصب, إذ يضيع أثر الإعلام فيها بما يغلب عليها من ممارسات يومية, فيكون الإعلام في واد والتطبيق في واد آخر (الحفني, ١٩٩٥، ص٣٥٥).

وبسسبب هذه الإشكالية, إنبثق توجهان رئيسان في علم النفس الاجتماعي حول كيفية الحد من التعصب والتخفيف من آثاره:

١- توجه يؤكد على دور "التنشئة الاجتماعية " في تلافي التعصب والحد منه.

٢- توجه يؤكد على ضرورة اصطناع مواقف الإتصال الاجتماعي Social Contact بين الجماعات المتنابذة.

وفيما يأتي إيجاز بهذين التوجهين في ميدان الطفولة:

- **التنشئة الاجتماعية والحد من التعصب**

ترى نظرية التعلم الاجتماعي أن الأطفال يكتسبون الإتجاهات السلبية إزاء مختلف الجماعات نتيجة سماعهم لوجهات نظر سلبية حول هذه الجماعات من الأشخاص المهمين في حياتهم, لاسيما من الوالدين. وهكذا فإن ثني الوالدين عن التصريحات التي تروج للتعصب ولسلوك التفرقة والتمييز, لا بد أن يحول دون تطور التعصب لدى الأبناء (مكلفين وغروس, ٢٠٠٢, ص٢٧٥). فنتوقع عندها أن تنخفض التحيزات إلى أقل قدر ممكن أو تقل حدود القوالب النمطية, وتتناقص مشاعر الكراهية إلى أدنى حد. وهنا لابد من تآزر كافة قنوات التنشئة الاجتماعية (الآباء والأقران والمدرسين) حتى تتم هذه العملية على أكمل وجه (عبد الله, ١٩٨٩، ص١٦٢).

ومع ذلك فمن الصعب تغيير الطفل كلياً في مدة معينة. فهناك العديد من العقبات التي تظهر حتى مع الأطفال الصغار. فالآباء المتعصبون قد يقضون على أي محاولة تجري في الاتجاه المرغوب به، فضلاً عن إن أطفال الآباء المتعصبين يحظون بفرص أقل للتفاعل مع أطفال الجماعات الأخرى, ما يقلل من فرص الإتصال وإمكانية انبثاق المودة. كما إن الأقران المتعصبين قد يقضون على أقل مجهود يبذله الآباء. وربما يقف المدرسون المتعصبون في طريق أي محاولة تبذل من الآباء أو الأقران. إلى جانب ذلك، قد يتسم المجتمع الكبير الذي يعيش فيه الأطفال بسياقات تجعل من المستحيل في أغلب الاحيان حدوث التغيرات الفعلية الايجابية (عبد الله, ١٩٨٩، ص١٦٢١-١٦٣).

وللتحقق من أثر التنشئة الاجتماعية في خفض التعصب لدى الأطفال, درس عدد من الباحثين تأثيرَ التعرض للتمييز والتعصب على وعي الأطفال بهاتين الظاهرتين, والحد منهما نتيجة ذلك. فقد وجد McGuire 1969 أن تزويد الأطفال بحجج مضادة لما يمكن أن يواجهونه في الرشد من تعصب وتمييز, يقلل من ارتكابهم لهذه التحيزات. وفي دراسة Weiner & Wright 1973, قام الباحثان باختبار اطفال بيض بعمر (٩) سنوات عشوائياً في مجموعتين، إحداهما "خضراء" والأخرى "برتقالية". وتم وضع رباط على ساعد كل طفل يحمل اللون الممثل لمجموعته، ثم جرى وسم الطلبة "الخضر" بالدونية وحرموا من بعض الامتيازات الاجتماعية. وبعد بضعة أيام جرى عكس ذلك الوسم، واحتل الطلبة "البرتقاليون" موقع الدونية. وجيء بطلبة آخرين كمراقبين ولم يتعرضوا الى معاملة تمييزية, أي شكلوا مجموعة ضابطة. بعد ذلك, سُئل هؤلاء الأطفال في مجموعتي الألوان والمجموعة الضابطة

على حد سواء، عما إذا كانوا يرغبون بالاشتراك في رحلة مع أطفال سود من مدرسة اخرى. فاشارت النتائج الى (٩٦٪) من الأطفال "الخضر" و"البرتقاليين" عبروا عن رغبتهم بالمشاركة في الرحلة، مقابل (٦٢٪) فقط من الطلبة المراقبين عبروا عن الرغبة ذاتها, ما يشير الى أن خبرة التعرض للتعصب قادت الأطفال الى الإعتقاد بأن التمييز على أساس اللون أمر خاطىء وإن تلك الخبرة جعلتهم أكثر وعياً بحساسيات أعضاء الجماعات الأخرى وبما ينتابهم من مشاعر عند التعرض للتمييز (مكلفين وغروس, ٢٠٠٢، ص٢٧٧-٢٧٩).

كما خلصت دراسات عديدة إلى أن تجنب الوالدين للحديث الصريح مع أبنائهم عن حقيقة وجود تباينات عِرقية أو دينية أو طبقية بين الناس، لا يعدّ إجراءً مفيداً لمنع ظهور الاتجاهات التعصبية لديهم، بل العكس هو الصحيح، إذ كشفت دراسة Aboud & Doyle 1996 أن التحدث إلى الأطفال حول وجود أعراق متعددة، يؤدي في الواقع إلى خفض التعصب لديهم. وكذلك وجدت دراسة Lease & Blake 2005 أن مهارة الطفل الاجتماعية تزداد بازدياد أصدقائه من الأعراق الأخرى. وكل ذلك يعني أن إتاحة الفرصة للأطفال للتحدث عن الأعراق الأخرى والاختلاط بهم بدلاً من السرية أو التشويش التي يمكن أن تحيط بمثل هذه الموضوعات، إنما يساعد على تطوير نموهم الاجتماعي الايجابي (Mendoza-Denton, 2011).

ومن جانب آخر، فقد ثبت أن لبرامج تعديل الاتجاهات في المدارس دورها المؤثر في خفض التعصب. فقد اتضح في دراسة Brinkman 2010 وزملائه أن تطبيق برنامج إرشادي على عينة من أطفال المدرسة الابتدائية من الجنسين، لتعليمهم مباديء

الإنصاف Fairness بهدف خفض التعصب لديهم نحو الجنس الآخر، أدى إلى انخفاض فعلي في هذا التعصب نحو أقرانهم في الصف من الجنس الآخر بالمقايسة مع مجموعة ضابطة لم تتعرض إلى هذا البرنامج (Brinkman, 2010).

- **الاتصال بين الجماعات المتنابذة وخفض التعصب**

إن جعل الأفراد يمرون بخبرات اتصال Contact وتفاعل متكررة مع أفراد من جماعات خارجية (موضوع التعصب), قد أثبت فاعليته في خفض التعصب والقوالب النمطية، غير إن خبرة الاتصال لوحدها لا تكفي للنجاح, إذ يجب أن تخضع لشروط ومحددات لكي تغدو مؤثرة في خفض التعصب. وقد أظهرت الدراسات أن هناك أربع حالات من الإتصال يمكن أن تسهم في الحد من التعصب هي:

١- اتصال يتضمن تواقفاً متبادلاً Mutual interdependence وهدفا"مشتركاً Common Goal، أي خلق مواقف تحتاج فيها مجموعتان أو أكثر من الأفراد لبعضهم البعض لإنجاز هدف له اهمية لدى الجميع.

٢- المكانة المتشابهة Equal Status: أي خلق مواقف تفاعل بين أفراد مجموعات لايوجد بينهم فروق في المكانة أو السلطة.

٣- الاتصال الودي Friendly: أي خلق مواقف تفاعل وغير رسمي بين أفراد المجموعة الداخلية وأفراد المجموعة الخارجية، بشرط أن يقتنع أفراد كل مجموعة أن أفراد المجموعة الأخرى هم ممثلون نموذجيون لمجموعتهم, وليسوا استثناءاً عابراً.

٤- اتصال يتضمن ممارسة للمعايير الاجتماعية Social Norms الخاصة بتعزيز المساواة والتسامح Tolerance؛ أي خلق مواقف تُسخّر فيها قوة هذه المعايير لتحفيز الأفراد على التقارب مع أفراد المجموعات الخارجية (Aronson et al., 2004, pp.494, 496 – 497).

- **لماذا يؤدي الإتصال الى خفض التعصب؟**

إن عزلة الناس عن بعضهم البعض, وجهلهم ببعضهم البعض, لايوفران لهم فرصة التحقق من سلامة تفسير الواحد منهم لسلوك الآخر؛ غير أن تعزيز فرص الإتصال بين الجماعات المتنابذة يمكن أن يحد من التعصب والتمييز لأربعة أسباب على الاقل:

١- إن كثرة الاتصال تجعلهم يدركون بأنهم متشابهون في الواقع أكثر مما هم مختلفون، ما يؤدي الى زيادة الود والتجاذب.

٢- إن مجرد تكرار مشاهدتنا لمثيرات معينة، كفيل بتطوير مشاعر الألفة والمودة نحوها.

٣- إن الاتصال الودي بين جماعتين قد يتيح المجال لدحض الصور النمطية التي يحملها أعضاء هاتين المجموعتين نحو بعضهم البعض.

٤- إن تكرار اتصالنا بأفراد الجماعة الخارجية، قد يحد من رؤيتنا لوجود تماثل تام بينهم، اذ سيظهرون لنا متمايزين ومختلفين فيما بينهم، وليسوا مجرد نسخ عن بعضهم البعض.

(مكلفين, وغروس, ٢٠٠٢، ص٢٨٠-٢٨٢)

أنموذج للتدخل الفاعل لخفض التعصب لدى الأطفال

اقترح Cameron & Brown 2005 أربعة أساليب رئيسة للتدخل الفاعل لخفض التعصب لدى الأطفال في جماعات اجتماعية مختلفة، وتشجيع مشاعر الصداقة والتعاون بينهم:

١- التدريب على المهارات المعرفية – الاجتماعية Social – Cognitive Skills Training

يستند هذا التدخل الى الإعتقاد القائل أن التعصب لدى الأطفال سببه نقص في عناصرهم المعرفية - الاجتماعية, بما يجعلهم عاجزين عن تكوين تصنيفات متعددة للناس, وغير قادرين على الانتباه الى وجود منظورات أخرى للأشياء إلى جانب منظورهم. وهنا، يتم تدريب الأطفال على امتلاك هذه المهارات المعرفية الاجتماعية الأساسية.

أما التدخلات الثلاثة المتبقية, فمشتقة جميعاً من فرضية الاتصال المتبادل بين الجماعات Intergroup Contact، والتي مفادها أن الاتصال بين الأفراد في مجموعات مختلفة تحت نسق معين من الشروط، يمكن أن يخفض تعصبهم حيال بعضهم. وهذه التدخلات هي :

٢- الاتصال الموسع Extended Contact:

يتحقق عبر تعزيز علاقة الأطفال المتعصبين بأحد أقرانهم في مجموعتهم الداخلية ممن له صداقات حميمة مع أفراد من المجموعة الخارجية (موضوع التعصب), الأمر الذي يؤدي الى خفض التعصب لديهم.

٣- الاتصال اللاتصنيفي Decategorized Contact:

يستند هذا الاتصال إلى الفكرة القائلة أن التعصب ينخفض عندما يُنظر إلى الناس على إنهم بشر وليسوا اعضاءاً في جماعات. ففي هذا النوع من التدخلات، لا يشار الى الجماعات الاجتماعية، بل إلى الخصائص الفردية للأشخاص المشتركين بعملية الاتصال (كالذكاء والمودة) .

٥- الاتصال ذو الهوية الجماعية الداخلية المشتركة

Common Inrgroup Identity Contact

ينطلق هذا التدخل من الفكرة القائلة بضرورة تشجيع الأطفال على تصنيف الأفراد المشتركين في الاتصال من جماعات اجتماعية مختلفة (إنجليز وفرنسيين والمان) على أنهم ينتمون الى جماعة واحدة مشتركة (أوربية)؛ بمعنى إقناع الطفل بأنه يتقاسم مع الآخرين هوية واحدة مشتركة.

.(Cameron & Brown, 2005)

ثانياً- استنتاجات نهائية مستقاة من خلاصة الإجابات السابقة الذكر

- قد يكون التعصب جزءً بنائياً أساسياً من ميكانزماتنا البيولوجية للبقاء على قيد الحياة، لأنه يقوم على رد فعل أساسي هو كره الغرباء، ولذلك فإن تعلم التعصب يعد أسهلَ من تعلم عدم التعصب. ولكن على الرغم من امتلاك البشر لهذه الميول البيولوجية الوراثية التي تهيئهم للسلوك التعصبي، فإن لا أحد يستطيع الجزم بأن التعصب هو جزء حيوي وضروري لتكوينهم البيولوجي. فمعظم علماء النفس متفقون على أن خصائص التعصب يجري تعلمها.

- يمكن تحديد أهم الأطر النظرية النفسية الكلاسيكية التي فسرت التعصب، بأربعة منظورات، هي: منظور التحليل النفسي، ومنظور التعلم الاجتماعي، والمنظور المعرفي، والمنظور الظواهري. أما في ضوء علم النفس المعاصر، فيمكن الإشارة إلى وجود توجهين نظريين متنافسين لتفسير التعصب لدى الأطفال، هما:

١- منظور التعلم الاجتماعي: يرى أن انتقال الإتجاهات التعصبية إلى الأطفال يحدث خلال عملية التنشئة الاجتماعية، عبر التعلم بالملاحظة في إطار الأسرة أو بتأثير توجهات المعلمين وجماعات الأقران ووسائل الإعلام، بواسطة آلية نفسية محددة هي "النمذجة" Modelling، أي تقليد سلوك الآخرين (النماذج) حتى في حالة عدم وجود تعزيز مباشر، فالأطفال غالباً ما يتعلمون ليس عن طريق تعزيزهم فحسب، وإنما عن طريق ملاحظة السلوكيات المنجزة من الآخرين، لتعمل بوصفها معززات لهم أيضاً؛ ولكن ليس من الحتمي إنهم سيحتفظون باتجاهاتهم التعصبية هذه عندما يكبرون، فالمتغيرات الوسيطة وعوامل التعلم المعاكس اللاحق تظل فاعلة ومؤثرة.

٢- المنظور الدافعي - المعرفي: بسبب عدم نضجهم المعرفي، فإن الأطفال الصغار معرّضون الى التعصب لأنهم لا يستطيعون معالجة تصنيفات عقلية متعددة، ولا الانتباه الى منظورين مختلفين أو أكثر في آن واحد معاً. وفي الوقت ذاته يمتلك الأطفال حاجات اجتماعية تدفعهم إلى بناء اعتبار إيجابي للذات وللجماعة التي ينتمون اليها, أي بناء هويتهم، وقد تحقق الإتجاهات التعصبية هذا الغرض لهم، دون القول بعنصرية الطفولة، فهذه الاتجاهات تتصل بحاجات الهوية الآخذة بالنمو لديهم أكثر مما تتصل بالموضوعات التي تنصب عليها تلك الاتجاهات.

- النمو المعرفي للتعصب: ترى النظرية التطورية المعرفية الخاصة بنمو اتجاهات الأطفال نحو الجماعات الاخرى، أن الأطفال الصغار غير الناضجين معرفياً معرّضون الى التعصب بسبب محدودية مخططاتهم المعرفية، ولكن ما أن يحصل التطور المعرفي لديهم، حتى يستطيع الأطفال عندها التحول من التصنيف الاجتماعي الى التفكير الفرداني. وتتنبأ هذه النظرية بأن الأطفال في عمر الخامسة يظهرون مستوى عالياً من التمييز في أحكامهم عن الجماعات، فيصل التعصب ذروته في حوالي سن السابعة، ثم يبدأ بالهبوط بتأثير اكتساب التفكير الاجرائي المحسوس.

- النمو الخلقي للتعصب: يوجد ارتباط بين درجة التعصب ومراحل النمو الخلقي الواطئة. ويعني هذا أن بالإمكان خفض التعصب من خلال العمل على رفع هذه المراحل الاخلاقية لدى الطفل وتقوية ضميره. فالأطفال عندما يدركون أن المعايير الاجتماعية حولهم لاتؤيد التعصب, وبأن سلوكهم عرضة لمراقبة الآخرين, يزداد الاحتمال بأن يكبحوا اتجاهاتهم التعصبية.

- إن الدرس الذي يمكن استقراؤه مما تقدم، يشير إلى أن الاتجاهات التعصبية لدى الطفل يمكن تلافيها أو التقليل منها عبر التسريع بنموه المعرفي والخلقي, ما يبرهن على الوحدة التفاعلية التي تجمع بين عوامل النمو الاجتماعي بعوامل النمو المعرفي والخلقي لدى الانسان عامة, والطفل خاصة.

- إن مدى إدراك الأطفال للاتجاهات التعصبية حولهم، يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية، بحسب أنموذج Brown & Bigler 2004 :

١- قدراتهم المعرفية: فتحديد مهاراتهم المعرفية نتيجة التقدم بالعمر، هو أحد أسس استكشاف السلوك التعصبي لديهم.

٢- العوامل الموقفية: قد يستعين الأطفال ببعض الإشارات الموقفية عند محاولتهم عزو سلوك الآخرين الى دوافع تعصبية أو غير تعصبية، كمعرفتهم المسبقة بالشخص المتعصب أو توافر المقايسة بالآخرين أو إدراكهم لوجود الإسناد الاجتماعي لهم.

٣- الفروق الفردية: فهذه الفروق تسهل إدراكهم للتعصب، كانتمائهم لجماعة لا تحظى بالاستحسان، أو إذا كانوا متوحدين بقوة بجماعتهم، أو إذا كان لديهم معرفة مسبقة بفكرة التعصب.

- يوجد توجهان رئيسان حول كيفية الحد من التعصب والتخفيف من آثاره:

١- توجه يؤكد على دور التنشئة الاجتماعية في تلافي التعصب والحد منه، عبر ثني الوالدين والمعلمين عن التصريحات التي تروج للتعصب ولسلوك التفرقة والتمييز؛ وتزويد الأطفال بحجج مضادة لما يمكن أن يواجهونه في سن الرشد من تعصب بما يقلل من ارتكابهم لهذه التحيزات؛ وإتاحة الفرصة لهم للتحدث عن الجماعات الأخرى والاختلاط بهم؛ والاستعانة ببرامج تعديل الاتجاهات في المدارس التي لها دورها المؤثر في خفض التعصب.

٢- توجه يؤكد على ضرورة اصطناع مواقف الإتصال الاجتماعي بين الجماعات المتنابذة، ذلك إن كثرة الاتصال تجعلهم يدركون بأنهم متشابهون في الواقع أكثر

مما هم مختلفون، ما يؤدي الى زيادة الود والتجاذب؛ كما إن الاتصال قد يتيح المجال لدحض الصور النمطية السلبية التي يحملها أعضاء هذه الجماعات نحو بعضهم البعض.

ثالثاً- مقترحات

يقترح الباحث الاستفادة من المادة النظرية للدراسة الحالية لإجراء دراسات وصفية وتجريبية محددة:

١- دراسات وصفية مسحية لقياس الصور النمطية لدى الأطفال العراقيين عن أقرانهم في المدارس من الأعراق والأديان والطوائف الأخرى.

٢- دراسات وصفية ارتباطية أو شبه تجريبية، لتحديد شبكة المتغيرات النفسية والديموغرافية التي يمكن أن تعمل على رفع أو خفض التعصب لدى الأطفال في العراق، مثل: نمط التنشئة الاجتماعية للطفل/ سمات الوالدين والمعلمين وأنماط شخصياتهم ومعتقداتهم/ المناهج التعليمية المدرسية/ العيش في مناطق مغلقة اجتماعياً أو متعددة الجماعات/ المكانة الاجتماعية الاقتصادية للأسرة/ نوع الطفل (ذكر، أنثى)/ تأثير ما إذا كان الوالدان يختلفان أم يتماثلان في العِرق أو الطائفة أو كليهما معاً/ التعرض للتهجير القسري وللعنف الديني والطائفي.

٣- دراسات تجريبية لاستكشاف ديناميات المتغيرات المحفزة لرفع التعصب أو خفضه موقفياً لدى الطفل العراقي، مثل: سلوك المعلمين/ انفعالات الطفل/ التعزيزات الإيجابية والسلبية/ تعرض الطفل لمواد إعلامية وثقافية محددة/ الاتصال الاجتماعي المختلط بين الأطفال.

هوامش البحث

- إن عدم ذكر رقم الصفحة الخاص بمرجع الاقتباس، يعزى إلى أن المرجع مأخوذ من صفحة في الانترنيت تفتقر إلى الترقيم. ولذلك يكتفى بذكر إسم الباحث وسنة الإصدار فضلاً عن العنوان الإلكتروني للموقع في قائمة المراجع في نهاية البحث.

- غالباً ماترد هذه المصطلحات الاربعة في سياق واحد متصل في أدبيات علم النفس الاجتماعي وعلم النفس الشخصية، إلا أنها في الواقع تتطلب تحديداً وتمايزاً، إذ يكتب صالح " ١٩٩٨: يعني مصطلح "التقليد" Imitation أن تكون الاستجابة مطابقة تماماً للاستجابة الأصلية, فيما يعني "التوحد" Identification اندماج الأنماط السلوكية ببعضها للشخص الملاحِظ والأنموذج . إلا أن مفهوم "النمذجة" يعني شيئاً أوسع من التقليد وأقل من التوحد (صالح, ١٩٨٨, ص ١٥٥).

- المصطلح المستعمل في أصل هذا الأنموذج هو "التمييز" Discrimination، ولأن "التمييز" هو المكون السلوكي للتعصب، فضلاً عن أن مفردة "Discrimination" تدل في واحدة من معانيها على "التعصب"، فقد ارتأى الباحث ترجمتها الى "التعصب" تماشياً مع هدف هذه الدراسة، مع التوكيد على إن المقصود بمصطلح "التعصب" هنا هو مكونه السلوكي، أي "التمييز".
- إن عدم ذكر رقم الصفحة الخاص بمرجع الاقتباس، يعزى إلى أن المرجع مأخوذ من صفحة في الانترنيت تفتقر إلى الترقيم. ولذلك يكتفى بذكر إسم الباحث وسنة الإصدار فضلاً عن العنوان الإلكتروني للموقع في قائمة المراجع في نهاية البحث.

قائمة المصادر والمراجع

- البصري, سعد (٢٠٠١). التداعيات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب. مجلة النبأ, العدد٥٦. في: www. annabaa.org
- الحفني، عبد المنعم (١٩٩٥). الموسوعة النفسية :علم النفس في حياتنا اليومية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- دافيدوف، لندا (١٩٨٣). مدخل علم النفس. ترجمة سيد الطواب وآخرون. القاهرة: دارماكجروهيل.

- دكت، جون (٢٠٠٠). علم النفس الاجتماعي والتعصب. ترجمة عبد الحميد صفوت ابراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي.
- زهران، حامد عبد السلام (١٩٨٤). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.
- صالح, قاسم حسين (١٩٨٨). الشخصية بين التنظير والقياس. بغداد: مطبعة التعليم العالي.
- العاني, نزار محمد سعيد (١٩٨٩). أضواء على الشخصية الانسانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- عبد الله، معتز سيد (١٩٨٩). الاتجاهات التعصبية. الكويت: سلسلة علم المعرفة.
- المعايطة، خليل عبد الرحمن (٢٠٠٠). علم نفس الاجتماعي. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مكلفين, روبرت؛ وغروس، رتشارد (٢٠٠٢). مدخل الى علم النفس الاجتماعي. ترجمة ياسمين حداد وآآخرون. عمان: دار وائل للنشر.
- ويتيج، ارنوف (١٩٧٧). مقدمة في علم النفس. القاهرة: دار ماكجروهيل.

- Aronson, E. & Wilson, T.D.& Akert ,R.M. (2004). Social Psychology. New Jersey: Pearson- Prentice Hall.
- Bergen , T. J. (2001). Development of Prejudice in Children. Online: www.findarticles.com
- Bourne, L.E.& Ekstrand, B.R.(1976). Psychology: Its Principles and Meanings. New York: Holt Rinehart Winston.
- Brinkman, B. G. & Jedinak, A. & Rosen, L. A. & Zimmerman. T. S. (2010). Teaching Children Fairness: Decreasing Gender Prejudice among Children. Analyses of Social Issues and Public Polic. Published Online: http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1530-2415.2010.01222.x/abstract

- Brown, C. S. & Bigler, R. S. (2004). Children's Perceptions of Discrimination: A Developmental Model. Online: www.csbrown.bol.ucia.edu/Discrimination.10.13.doc.
- Browning, A. (2005) .Tell children racial prejudice is wrong; They'll be less likely to be prejudiced. Online: www.eurekalet.org
- Cameron, M. L. & Brown, R. J. (2005). Evaluating Interventions to Reduce Children Prejudice Toward Immigrants. Online: www.esrcsocietytoday.ac.uk
- Davidson , F. H. & Davidson , M. M. (1994). Changing Childhood Prejudice: The Caring Work of the Schools. Online: www.positivepractices.com
- Deaux , K.& Wrightsman, L.S. (1984). Social Psychology in the 80s. Monterey: Brooks/ Cole Publishing Company.
- klopp, J. (1996). Exploring the source of Prejudice in Children. The McGill Reporter, Vol (28), No.(17). Online: www. reporter –archive. mcgill.ca
- Mendoza- Denton, Rodolf (2011). Should we talk to young children about race? Berkeley University of California. Online: http://blogs.berkeley.edu/2011/04/28/should-we-talk-to-young-children-about-race
- Myers, D. (1996). Social Psychology. New York: McGraw-Hill companies.
- Nash, J. (1970). Development Psychology .New Jersey: Prentice-Hall, Inc.
- Rutland, A. F. & Milne, A.& McGeorge, P. & Cameroi , L.(2003). The development and Regulation of Prejudice in children. Online: www.monitoring-group.co.uk

- Sinclair, s. & Dunn, e. & Lowery, B. S. (2005). The relationship between parental racial attitudes and children's implicit prejudice. Journal of Experimental Social Psychology, 41, 283-289.
- Sprinthall, N. A. & Sprinthall, R. C.& OJa, S. N. C. (1994). Educational Psychology. New York: McGraw – Hill, Inc.
- Stang, D.J.& Wrightsman ,L.S.(1981). Dictionary of Social Behavior and social Research Method. Monterey: Brooks/ Cole Publishing Company.